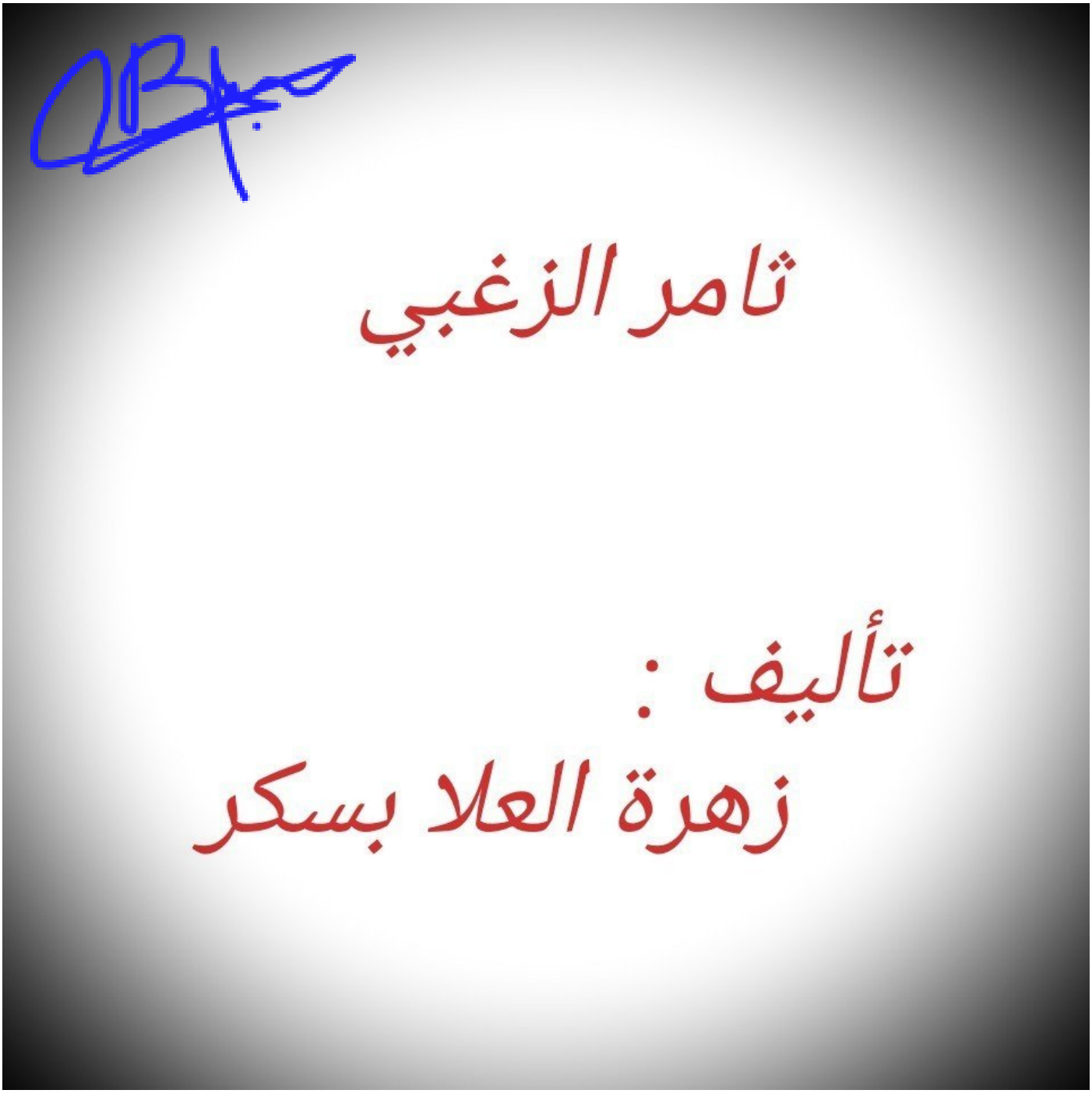
ثامر الزغبي
تأليف :
زهرة العلا بسكر

مقدمة :

ـ بسم الله ، والصلاة والسلام على نبينا العاقب ، والحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا الإجتهاد المتواضع و بعد :

ـ أوبة الشعوب لتاريخها ، فالماضي صنع الحاضر و الإثنان يبنيان ماهو آت ، وبلدنا فسيح بجغرافيته و ثقافته المنبجسة من مجريات شرسة ، ونحن أمة عهيدة أراد المستدمر تحريفها و طمسها ، و رغم هذه الدسائس إلا أن سيماء الهوية لم تتوارى سبكنا بها وحدة قهرا في المضطغنين ، و حنينا لعبق الزمن البائد لبوابة الصحراء كتب عنها قلمي لأن إبن كل أرض أعلم بها من غيره لا سيما أن أسلافه لبثوا فيها منذ دهور غبرت ، و أملت أن أجيب عن شطر من الإستفهامات المتباينة ردودها لأحط لمسة إختلافي أنا أيضا ، و بين البحث و الروايات تحترم كل الآراء و تعتبر رأس خيط لإظهار حقيقة ما و لو بضوء خافت ، آملين أن لانترك ضباب الإبهام لدى الأجيال المقبلة و ننتفع و ننفع و نصحح لبعضنا ، بلا تنابذ و تزمت أو تعنت و لا زعم بالصواب المطلق .

ـ الفحوى من منظور تاريخي بحت و لا صلة لها بالأنساب أو الأعراش ولا تفاخرا لأطراف ولا عنصرية لغيرهم فلا ولاء لأرض و لا لقبيلة و الملك لله وحده ، بل على النقيض هو نقل لما أبقاه أجدادنا و تبجحا بهم نحيي ماذكروه و إن كان لم يصلنا كله إبتغينا أن نجد كنفا غير ملتبس بعد الإستبيان ، و أي مطالع له الفسحة بالنقد والرد ليثري التراث المعنوي وقد إنتويت الأمانة في الإخبار و الإستنباط ، وفقني الله وإياكم .

تنبيء :

ـ إستجديت برواية جدي رزيق قويدر و حسب ، و لا ألزم نفسي و القارىء بلغط ما ، لما تضمنها من تماثل أو تخالف مع مصادر خارجها التي لم أستند إليهم بل بإعتبارها واحدة منهم كعزو ، ولا أشدف وجود أو نفي شخصيات أو أحداث ، و علاوة أن ربيعة لقب باهلي لا أقصد المقرون به الولي الليثي المشيشي بل ثامر آخر ، و إن تقاسما العزوة الإدريسية و لا حرونا بأن سليمان واحد أو ثان ، ولا ما جاء بصورة مشابهة و معكوس مثل من تزوج ببنت الآخر ، أم أن الأسماء تكررت فيكون ثامر أب الزوجة وثامر زوج البنت ، و بدءا من التعليق هو سداد رأيي لا غير .

أولاد ثامر عرش المراكصة برواية المجاهد رزيق قويدر :

ـ تموضع سليمان بن ربيعة في بوسعادة ، ثم سناه إبني خالته ثامر و عامر ، إنقشا من فلسطين ، سلالتهما من النبي يوسف عليه السلام ، لاذا من الوقيعة عصرئذ ، بدا ثامر أهوج الطيش ، و آب إلى الله على يد سليمان ، ثوى بجبل كردادة و إستعاظ إسمه بمرڤص ، بعد أن ولج في العليق بمريجة ، التي إنثالها قفولا أربعة رجال هم : صالح من الأغواط و عامر بن عطاء الله من الوطاية و ثابت من حد السحاري وشطة من الدوسن ، صاهروا ثامر في بناته الأربعة كما الخامسة فروجة إرتبط بها سليمان ، و الأخريات مدعوات حجيلة و ريشة و نخلة و شريفة و خريزة إلا سابعتن لم تستحضر كنيتها في الأحدوثة ، و كدسوا عشيرة المراكصة ، مواضع عديلة أسماءهن أين عمرن (عين النخلة ، عين حجيلة ، عين الريشة ، عين الشرفا ، خريزة) و طرا مقبورات بالعليق (مقبرة الشهداء حاليا) ، و عامر بزر خلفة بستة من البنين و عصب بسهم من ميراث أخيه الذي لم يعقب ذكورا ، إذ وافاه الأجل قبله زهاء العام ، و دفنه ببسكرة التي كانا يترددان إليها ، و التركة كانت مايعرف اليوم بأرض سيدي عامر إلى زقاق ولاد عامر الفاصل للقسمة بحي لومامين ، و ما لسليمان حازه ذريته (حي سيدي سليمان و ما حاذاه) .

تعليقي على الرواية :

ـ أولاد ثامر كلهم منضوين إليه بما في ذلك أولاد سليمان لأنه تزوج إبنته و ليس كل أحفاده مراكصة لعدم إدراكنا لبعولتي البنتين الباقيتين من أين ، و بما أن جل كنياتهن و قبورهن بذات القرية فلا إحتمال إقطناهما مضارب بعيدة و لا حمل جثمانهما لمسقط الرأس بما أن جثة ثامر لم تستجلب ، أما فروجة وريت الثرى جوارهن لأن البعد منها إلى سيدي سليمان ليس بسحيق ، و من القدم حتى عهد غير بعيد كسبعينيات القرن الماضي كانوا يتنقلون مشيا على أقدامهم بين العليق و بوسعادة أو في وسائل الترحال البدائية على هودج الحيوانات ، و نقل جسمانها لا يتعذر ، أو ذهبت لزيارة أهلها قبل فيض روحها ودفنت بنفس المربع وربما الإثنتان لم تتزوجا أو لم تضعا نسلا أو توفيتا في سن فتية ، و لم نكن لننفي هذا لو تأكدت التسمية لتقسيمهن أرض أبيهن ، وليس لإقامتهن فقط ، و إن جردنا ثلاثة بما فيهم فروجة و الإسم المنقوص يظل مستعسرا تجلية الجدات الأربعة في العدة الإسمية ، ووجود قبائل متمايزة منطقي لأن الأنثى ليست كالذكر يتواتر منه الإسم العائلي والواحد .

ـ من هو ثامر ؟

_ إرداف :

_ تفوقت العليق آنيا على بوسعادة في التعمير بأربعين سنة .

_ تم تغيير ألقاب زمن الإستعمار الفرنسي منهم الربعي من رزيق (أخوان) ، و خريف حشاشنة الأصل بعضهم إلى سعداوي من رفقة أولاد صالح ، و جل الألقاب التي تغيرت بقيت في نفس الرفقة .

_ ملحوظة :

_ صالح و عامر بن عطاء الله و ثابت و شطة أسماء لأشخاص وليسو نسبة لقبائل .

مصدر الرواية :

ـ عن والدتي عن أبيها المناظل رزيق قويدر الذي تناقل رواية عن أب جده ، و بما أنني سديسة فرع النسب التالي : زهرة العلا بنت زبيدة إبنة قويدر بن محمد بن علي بن قويدر) ، يخولني نقلها إليكم ، وضما لكوني من القلائل بدون وجود عرش آخر غير المراكصة من صوب الأب و الأم و من الجذور الإبتدائية .

ـ تملك الجد الأول في هذه السلسلة باحة منذ قرون ، ونصب غرسه فيها و غدت من البساتين الأتلاد في قرية العليق ، و ثمة مقطع لشعر عامي صاغه الآنخون القدامى تقريظا للغلة المدرارة في فصل الخريف بالذات في شهر تشرين الأول يقول : (جنان قويدر فصلو توبر كل شهوة طابت فيه خوخ موقر في الهوى عالي شهاك) ، و قد بلج هذا المقطع بلهجة هلالية في وقت ما .

ـالبستان كان رحيب المساحة و إنشطر شيئا فشيئا عبر الأجيال بسبب بيع أجزاء منه من الوارثين و إجتثاث الأشجار القديمة بالجديدة أو إبتناء بيوت محلها ، و حي الجبي مربض الطائرات المقاتلات إبان الإحتلال الفرنسي الذي كان بلقع العمران متداني منه بأمتار وجيزة ، قصمت نخلة فيه بمعركة أثناء ثورة التحرير بالطائرة الحربية ، وكان مخبآ لوثائق المجاهدين منهم العقيد عميروش آيت حمودة و محمد شعباني رفيق المجاهد رزيق قويدر ، لازالت قطعة من البستان لمالكها المرحوم رزيق قويدر .

المراكصة و البراكصة أولاد ثامر بن ثلال :

ـ إنبثقت الرفقة الأربعة لرهط المراكصة من أصل السبعة إلى منبت لقبيلة شمر الزغبية ، إنضوى من قطعهم للمغرب الأوسط ، قد يكون منهم منديل بن عبد الله و إبنه علوش و ثلال و لن أدقق في برء أشجار النسب التي إبتدعها بعضهم ليعتزو للآصرة العلوية ، بل للقرائن التالية :

ـ إسم العليق شبيه بحصن بن علاق ، ويتم تصغير الأسماء في لهجة بني هلال ، فقادر تصبح قويدر ، و مالك مليك و رحمان رحمون ، و بالتالي علاق عليق ، والمراكصة نفسه البراكصة بإقليم خريبكة بالمغرب و هم البراكصة الشماليين ، ونحن الجنوبيين بإختلاف حرف الباء فقط لقربهم من اللهجة الأمازيغية ، وهذا يدل على قدوم ثامر من الشرق و لو جاء من المغرب نحن الشماليين وهم الجنوبيين ، و أسماء الأماكن الموجودة في العليق نفسها بالمغرب (عين العليق بقرية ولجة ، أولاد التايمة في إقليم جرادة قريب لولتام ، مريجة في جرادة ، أما في تونس لدينا رمادة في تيطاوين و المسدور في ولاية المستير و صيادة ، و الوسطاني في بنزرت ، ونفس هذه الأسماء بقرية ولتام .

ـ أما كلمة المركصي تعني والي أو شيخ القرية مشتقة من مركيز (ثامر مركيز بلدة العليق) .

ـ لم يكتب الإستعمار الفرنسي كلمة العليق بوتيرة واحدة بل بعدة أشكال منها oued Alica و Ellig و Allig ...

أصل التسميات الثلاثة لبوسعادة والمسيلة و طبق الزفيطي :

ـ بوسعادة و المسيلة و الزفيطي كلها تسميات عربية .
ـ ترجع تسمية بوسعادة إلى الساكنة الغالبة فيها وهي قبيلة السهول ، منهم آل سعد .
ـ كتب الإستعمار الفرنسي كلمة بوسعادة في مراحله على عدة أشكال منها Boucada و Boçada ...
ـ سميت المسيلة لوجود قبائل المسلي فيها .
ـ الزفيطي أو السفيطي تصغيرا لكلمة السفط هو وعاء الخشب و هناك كلمة sefate في لغة سيسوتو صنوها ، و تعني الشجرة .

أين ظهر طبق الزفيطي أو من جلبه كفكرة في المطبخ ؟

ـ أكلة السفيطي لم يجلبها أحد ، بل هي موجودة بقيت من الإنسان البدائي الذي إستعان بخشب الأشجار لوضع طعامه فيها ، بإختلاف القالب البنيوي كالمهراس و القصعة .

قصة شعبية لذياب بن غانم برواية المجاهد رزيق قويدر :

ـ ولد في درب للرحل صبيان ، أحدهما لذياب الذي إبتنى في الجبال ، و الثاني للحداد ، التي قامت بعلته و بدلته و إبنها كامنة .

ـ كبر الفتيان قليلا ، ذياب غشيته المظنة ، بعد معايناته أن طفله لا يحمل طبائعه كالذلاقة ، و صنعته نظيرة المحددة ، صعد إلى الجبل و صاح بصوت عال : (هاو هاو خادمين الشر يهباو) ، و ليطمئن قلب ذياب أجرى إختبارا لصدق النسوة و بداهة الغلامين ، فإبتعث أم إبنه لأقاربها و أمرها أن تستقصيهم بما هو الأحلى منه و الأمر منه ؟ فلم يهتدوا بعد تخمينهم و لفظوا ردودا عشوائية كالتمر و شجر الدفلة ... ، و طورا طرقته أن ما أحلى منه ذكر الله و ما أمر منه هو الموت ، فنهرها بأن المجيب ليس أهلها و زمجر أن الرد من سجده لا غير ، فقالت : نعم حيث أنها تصادفت بالولد في طريقها و نطق هذه الجمل بعد أن إستوضحت منه جوابا مثل الآخرين ، و ليست أول مرة يختبره و يستخبره وهو غر صغير مثل أن حاوره ذات يوم ، ما الذي يغلب الماء ؟ فرد عليه العقبة ، و ما الذي يطفئ النار ؟ قال : الماء ، و من الذي يغلب المرأة ؟ قال : إبنها .

ـ إسترد و أرجع ذياب و حداد إبنيهما الحقيقين و إمرأة الأخير ذهبت حال سبيلها و طلقها و طردها بعد أن أقرت ببائقتها حيث أعنتوها على الإعتراف بعد إستجابة الله لدعائه في الجبل .

لمحة عن عروش أخرى برواية المجاهد رزيق قويدر :

ـ أول عرش قدم إلى بوسعادة هم الحمالات وسمو هكذا لأنهم كانوا محملين بالمتاع أول ما تم النظر إليهم وكانوا بأعداد هائلة ، وحطوا الرحال ببئر هني .

ـ جد أولاد سيدي إبراهيم يسمى الأمجد .

ـ أولاد خالد ترجع أصولهم إلى أبناء أخوال النبي صلى الله عليهم وسلم .

إهداء :

ـ الشكر للوالدة الكريمة رزيق زبيدة ، التي كان لها الفضل في تزويدي بالمعلومات الوافية ولولاها لما تم هذا العمل ، كما أجدد الدعاء بالرحمة لأبي بسكر المسعود (عمر) ، و جدي رزيق قويدر و جدتي بن ضويو زوينة ، وخالي علي و إبن عمي إبراهيم بسكر أسكنهم الله في جنات عليا ، و أهدي هذا الكتيب لأبناء عمومي المراكصة كافة .

توقيع زهرة العلا بسكر :